المتغير الثقافي والإصلاح التربوي: قراءة في تجربة اليابان إلى التسعينيات من القرن العشرين

د . الطاهر عمري
المدرسة العليا للاساتذة -قسنطينة ، الجزائر

ملخص:

هذا المقال الموسوم بالمتغير الثقافي والإصلاح التربوي: قراءة في تجربة اليابان هـو إسهام متواضع في الجهد المبذول في سبيل إثراء التجربة التربوية العربية والإفريقية عمومـا والتجربة الجزائرية على وجه الخصوص، ومحاولة للإطلاع على إحدى التجـارب الرائـدة في مجال النظم التعليمية التي تجمع بين الأصالة والتحديث، وهما الركنان الأساسيان اللـذان تقوم عليهما المسيرة التربوية لأي مجتمع من المجتمعات.

La variable culturelle et la réforme éducative
Expérience du Japon jusque dans les années 90du XXe siècle

Cet article est une modeste participation dans les efforts déployés afin d'enrichir de manière générale et, celle, algérienne de manière particulière .il s'agit d'essayer de voir de plus prés une des expériences dans le domaine des systèmes éducatifs qui réunit authenticité et modernisme .Ce sont la les deux grands piliers sur lesquels s'appuie tont parcours éducatif dans n'importe quelle société.

هذا المقال الموسوم بالمتغير الثقافي والإصلاح التربوي: قراءة في تجربة اليابان هـ ـو إسهام متواضع في الجهد المبذول في سبيل إثراء التجربة التربوية العربية والإفريقية عموم ـا والتجربة الجزائرية على وجه الخصوص، ومحاولة للإطلاع على إحدى التجـارب الرائـدة في مجال النظم التعليمية التي تجمع بين الأصالة والتحديث، وهما الركنان الأساسيان اللـذان تقوم عليهما المسيرة التربوية لأي مجتمع من المجتمعات.

ويشرح الخلفية التاريخية لتطور النظام التعليمي الياباني، كما يتتبـع محـاولات تحديثه المستمرة، التي ركزت على الاستفادة القصوى من مستجدات العلم والتكنولوجيـا والاجتهادات التربوية والتنظيمات الإدارية التعليمية الحديثة، التي لم تغفل في نفس الوقـت الجذور التاريخية والاجتماعية والفلسفية والثقافية الأصلية التي ميزت الشعب الياباني عـبر العصور. وأرجو أن يكون في هذا الجهد المتواضع خدمة للبحـث التربـوي في الجزائـر وخدمة لأساتذة وطلبة المدارس العليا للأساتذة، من خلال الإطلاع على واحدة من أهـم التجارب التربوية غير الأوربية، لشعب شرقي عريق إلى غاية التسـعينيات مـن القـرن العشرين.

وقبل البدء في تحليل عناصر هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى كـون العمليـة التربوية لا تقتصر على نقل المعارف والمعلومات للتلاميذ وإن كان هذا الهـدف جـزءاً لا يتجزأ منها. فالطرف الأساسي في هذه العملية أي المتعلّم هو فرد من المجتمع بكل يتضـمنه مفهوم الفرد من أبعاد نفسية واجتماعية معقدة. ولذا فإنّ التغير المادي الـذي يحـدث في المجتمع لا بد أن يحقق نتائجه من تغيير القيم والعادات والسلوك. وتفرض التغيرات الثقافية شروطها على المجتمع في أشكال ثلاثة:

أولاً: قد يكون التغير في السياسة التعليمية بصفة عامة لمقابلة حاجة اجتماعية واقتصـادية كالتكوين المهني مثلاً.

ثانياً: قد يكون التغيير التربوي نتيجة الإحساس بان هناك قيما في المجتمع يجـب المحافظـة عليها، كالقيم الدينية، أو محاربة البيروقراطية، وكضرورة تنمية النقد الذاتي..الخ

ثالثا: قد يحدث التغيير التربوي نتيجة لظهور معارف جديدة، لم تدخل الميدان التطبيقـي في المدرسة بعد، ويؤدي تطبيقها إلى الإسهام في حل كثير من مشكلات المجتمع.

1.اليابان: التاريخ والاسطورة

تتميز اليابان من الناحية الطبيعية بتضاريسها الجبلية، وتقع في الجانب الشرقي من القارة الآسيوية، حيث تتكون من أربعة جزر رئيسة هي: هوكايدو، هونشو سيكوكو وكيوشو. بالإضافة إلى عدد من سلاسل الجزر وآلاف من الجزر الصغيرة جدا.

وتعتبر اليابان في عصرنا مثالاً للتقدم العلمي في المجالات المختلفة، حيث استطاع ذلك البلد المحدود من حيث الموارد الطبيعية أن يصل إلى احتلال مكانة مؤثرة في الاقتصاد العالمي، بعد تدمير كامل ومعاناة كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية، والمدهش أن هذا التطور تم في فترة يعتبرها الخبراء قياسية بل يصفها بعضهم بالمعجزة[1].

وقد كانت النّدرة في الموارد الطبيعة وتضاريس اليابان، باعتبارها بلاد الجزر والبراكين والفيضانات، من أهم الحوافز لإبراز قدرات الشعب الياباني[2] الذي يؤمن بالمبدأ الكونفشيوسي الذي يقول بأن "ما يأتي سهلاً في الحياة لا يمثل فضيلة، وأهم شيئ في العمل هو المشقة والإخلاص". وهذا إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بأهمية النقاء العرقي في اليابان، إذ يلاحظ الباحثون في ميدان السُّلالات أن الأقلّيات غير اليابانية كالكوريين والبوراكميين تعيش في أزقة معزولة تشبه الحواري الخاصة بها، أما اليابانيون الذي تطول إقامتهم في الخارج فتحوم حولهم الشكوك، أما الأجانب فمن الصعب أن يحصلوا على الجنسية اليابانية. ويعتقد اليابانيون أنه لا يوجد مكان في العالم أفضل من اليابان، وتذكر الأساطير هناك ان الجزر اليابانية سقطت من السماء إلى البحر، وكذلك الأمر بالنسبة لسكان هذه الجزر(*). وتعلق الباحثة الأمريكية ميري هوايت على ذلك بقولها: "فتمتزج الأسطورة مع التاريخ في نسيج يعتقد اليابانيون أنه شديد الإحكام"[3].

---

1 الاحمد(عبد الرحمان) واخر، التعليم في اليابان: تطوره التاريخي ونظامه الحالي، دار العلم الكويت 1983 ص 17-15

2 يمكن للقارئ ان يقوم بمقارنة ذلك مع وضع كثير من دول العالم الثالث، ومنها الجزائر، التي كانت مواردها الطبيعة سببا في ضعف تكوين وتنمية الإنسان بها.

(*) تقول الميثولجيا اليابانية: في البداية لم تكن الارض السماء منفصلتان، ولكن بعد ذلك ظهرت سبعة اجيال من الالهة فنت عن اخرها و لم يبق منها سوى ثنائي تولى امر النظر إلى ما يحدث تحت السماء، وقام هذا الثنائي بتحريك ماء البحر الذي كان يغلي، وهنا سقطت قطرات نشات منها الارض، فنزل هذا الثنائي إلى الارض

العهـ ـد الميجـــــــي:

إنّ ما حدث في اليابان خلال العهـد الميجـي(*) هو ترسيخ البعـد الـوطني وغرس نزعة الاعتزاز بالذات، وتأكيد استمرارية هذه الذات عبر التاريخ، ولـذا كانـت أسرة الميجـي وتانيشـو تدافع عن استمرارية الهوية الوطنية، وكانت تستخدم في سبيل ذلك جميع وسائلها لمواجهة تأثير الثقافات الغربية الوافدة، ولكـن مـع الحـرص علـى الاستفادة من تقنيات الثورة الصناعية، ولذا عمل الامبراطور في أسرة الميجي باتجاه النهضة الحديثة في اليابان بين 1868-1926، فأدخل إصلاحات عميقة تتمثل في الاتجاه نحو الحداثـة الغربية، غير أن مؤيدي النظام السابق كانوا يعارضون هذا التوجه معارضة قوية[4].

وفي أعقاب العصر الميجي، وبالتحديد عام 1872(*) أصدرت لوائح التعليم الـتي تعتبر نقطة تحول بالنسبة لنظام التعليم الحديث في اليابان، واسـفرت الجهـود العديـدة والجادة من قبل اليابانيين إلى نتائج هامة، إذ صار أكثر من 38.4% من الشـعب اليابـاني

وتزاوجا وانجبا في البداية الجزر اليابانية، ثم الجبال والانهار والرياح والبحار وكل قوى الطبيعة. انظر: L'histoire mythologique japonaise, In: Encyclopédie Microsoft® Encarta® 2002. © 1993-2001

[3] هوايت(ميري)، التربية والحذق: التجربة اليابانية، ترجمة: سعيد مرسي واخر، عالم الكتـب مصـر1991 ص.36.

(*) لفظة الميجي تعني في اليابانية، الحكومة المستنيرة. وقد وضعت هذه التسمية في عهد الحاكم موتسوهيتو واستمرت بعده. فبعد اقل من ثلاثين سنة وبالاعتماد على نخبة مثقفة منفتحة على الغرب ومتمكنة من العلوم الغربية ومتشبعة بالثقافة التقليدية صارت اليابان قوة ذات مكانة دولية، وتم استقدام ضباط فرنسيين يقومون بمهمة تحديث الجيش البري وقام الضباط البريطانيون بتحديث القوات البحرية اليابانية. كما صارت الخدمة العسكرية خلال العهد الميجي إجبارية منذ 1872، كما ارسلت بعثات إلى البلدان الاخرى لدراسة نظم الحكم والمؤسسات، كما اصدر خلال هذا العهد قانون عقوبات مستنسخ من القانون الفرنسي.

[4] Charniot J-N, " Le Japon", In: Mémo Larousse, Italie1990, p.524

(*) من عجائب ومفارقات التاريخ ان هذه المرحلة تمثل بالنسبة إلى المجتمع الجزائري القضاء على اخر مقاومة شعبية كبيرة هي ثورة المقراني، وما اعقب ذلك من تحطيم المجتمع الجزائري وخصوصا مراكز الثقافة والتربيـة به. انظر بهذا الصدد: الطاهر عمري، "مراكز الثقافة العربية في الجزائر بين المقاومة والتكيّف"، مجلة دراسـات ادبية وإنسانية، العدد: 01، سنة ، 2004مخبر العلوم الإنسانية، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة

يحمل التاهيل الجامعي وصار اكثر من 92.0 % من الشعب الياباني حاصلا على مستوى من التعليم يفوق المتوسط[5].

وهكذا صار المجتمع الياباني منذ العصر الميجي حيا متحركا، ولذا صار من الضروري أن تظهر فيه التغيرات الاجتماعية. وكما يقول علماء الأنتربولوجيا فإن " ازدياد عدد المتغيرات الثقافية يدل على أن هذه الثقافة حيّة، متطورة، ديناميكية، تسمح بالاتصال بغيرها من الثقافات تأثيرا وتأثرا...وزيادة هذه المتغيرات في ثقافة معينة دون حدوث اضطرابات خطيرة في هذه الثقافة دليل على قدرة الثقافة على النمو وعلى التغيير.."[6].

2. الجذور الاخلاقية والفلسفية

2-1- مكانة التربية والمربي:

تحتلّ مهنة التعليم في مجتمعات شرق آسيا عموما مكانة الاحترام والتقدير، الأمر الذي جعل كثيراً من الشباب هناك يقبلون على ممارستها، إذ هي في نظرهم مهنة تدوم طوال الحياة ولها مكانتها، كما ظلّ للمعلم في اليابان مكانته وأهميته، لأن التعلم في المجتمع الياباني، وكذا الحصول على الشهادات الدراسية يعتبر من أكثر الأمور أهمية وتقديرا واستهدافا في الحياة المعاصرة[7].

ويتّفق اليابانيون، وحتى المراقبون خارج اليابان ان التقدم الياباني في العصر الميجي، والمعجزة الاقتصادية(*) التي حدثت في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، يرتبطان ارتباطا وثيقا بالتركيز على التربية. إذ ارتفع مستوى مهارة الأفراد في المجتمع كما أُتيحت لذوي المواهب الخاصّة فرص تولي مواقع قيادية في المجتمع وفي السُّلطة. وخلال ازمتين في

---

[5] الاحمد عبد الرحمان واخر، المرجع السابق، ص.17.

[6] النجيحي(محمد لبيب)، الاسس الاجتماعية للتربية، الطبعة السابعة، دار العلم الكويت1977 ص ص.190-191

[77] الاحمد)عبد الرحمان(واخر، المرجع السابق، ص.17.

(*) تولت الحكومة اليابانية تموين البنية الاقتصادية في اليابان، كما قامت الاسر القديمة المشتهرة بالتجارة مثل اسرة مينسوي وعائلات الساموراي القديمة بتاسيس مصنع مستسوبيشي وتاسيس قواعد اقتصاد حديث.

تاريخ اليابان، بين الحربين العالميتين، ظهر ان هناك ارتباطا وثيقا بين ما هو خير للنمو الشخصي للأفراد وما هو خير بالنسبة للوطن، و لم يكن هناك تصادم بين مصلحة الفرد ومصلحة الوطن. وما يزال إلى اليوم أسلوب اختيار الأفراد للمناصب الهامة من أقوى أسباب استقرار اليابان. فإلى جانب الرونق الاجتماعي والإمتيازات التي تمنحها هذه المناصب إلا أنها لا تنال إلا بمهارات وبذل جهد كبير وتفوق حقيقي خصوصا التفوق المدرسي. لذا فإن أولياء الأمور يحرصون على أن تقدم المدرسة كل الإمكانات لأولادهم كي يصلوا إلى هذه المناصب[8]. كما تحرص المنظومة التربوية في اليابان على تخريج علماء وتكنولوجيين يثبتون-بجميع المقاييس العلمية- أنهم مبتكرون ومبدعون[9].

2-ب- التربية والحب:

تعتمد أساليب التربية في اليابان على الحب أكثر من اعتمادها على السلطة والقوة والعنف. فحب الآخرين والقدرة على الإحساس بهم والشعور بمشاعرهم والعطاء غير المحدود هي اخلاق الإنسان الياباني[10].

إنّ الإنسان الياباني، الذي كان مثله الاعلى في الحرب ممثلا، في افضل صورة في السَاموراي، وهو المحارب والبطل التقليدي في اليابان، حدث لديه تحول ثقافي في هذا المجال، إذ كشف استفتاء حديث - نسبيا - عن توجه جديد لدى هذا الإنسان، فكثير من اليابانيين، حين استفتوا حول مشروع إعادة تسليح اليابان لإقحامها في جهاز الدفاع عن منطقة المحيط الهادي أسفر هذا الاستفتاء عن نسبة عالية من الأصوات تتمنى أن لا تلجأ بلادهم إلى العنف، حتى في سبيل الدفاع عن نفسها[11].

2-ج-تثمين الجهد والمثابرة:

يرى اليابانيون أن المعاناة والإصرار والمثابرة هي قيم تبني في الإنسان الصفة والسمة التي لا يمكن أن توجد بالفطرة، وهي القدرة على التحكم وضبط النفس، وهي

---

[8] هوايت، المرجع السابق، ص.150

[9] نفسه، ص.140

[10] نفسه، ن-ص

[11] بن نبي(مالك)، فكرة الإفريقية الاسيوية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت1992، ص 188-189

-في نظرهم- امور متاحة لكل إنسان. وفي اليابان تعد عملية إصرار الطفل وعدم الاستسلام والصمود إلى النهاية، تعد في حد ذاتها قيماً هامة وسلوكا محبّبا. ويفضل الياباني طريقة أداء العمل والمحاولات التي تبذل في سبيله على الإنجاز و النتائج النهائية ذاتها.

فالمطلع الغربي على مقرّرات الدراسة في اليابان، في مجال التربية الاخلاقية، يرى انه من المرغوب فيه أن يتعلّم الطفل في المراحل الابتدائية الأولى تحمّل المشاقّ وفي السنوات المتوسطة يتعلم الإصرار والاستمرار لتحقيق المطلوب منه في صبر وعزيمة. وفي السنوات الأخيرة من الطّور الأول يتعلم أن لا يقف سلبياً أمام المصاعب والعقبات، وأن يجد الحلول ليحقق هدفه، وأن لا يخاف الفشل بعد أن يبذل الجهد الضروري. فجوهر العملية التربوية في اليابان يتمثل في التزام الفرد لتحقيق إنجاز ما، سواء في الدراسة او في العمل. فالمهم أن يتعلم الفرد الياباني من الالتزام في الدراسة أو أي عمل آخر معنى الارتباط والمسؤولية[12].

2-د- ارتباط العلم والسلوك:

ترى قيم وأهداف الثقافة اليابانية أن الشخص الصالح هو الذي درس وحصل وان العلم يسهم في بثّ الفضيلة كما أنه يبرزها. ويرمز اليابانيون إلى فضيلة التعلّم بأحد مفكريهم منذ العهد الميجي وهو نينوميا *NINOMIYA* ، الذي عاش بين 1852-1912 وكان مثالاً للفقير الذي بذل جهدا خرافيا ليتعلم. وقد أقيمت له التماثيل في كثير من المدارس اليابانية ولا تزال قائمة إلى اليوم. كما تعتبر أسطورة سونتيكو قوة إلهامية للمربّين خاصة خلال العصر الميجي، حيث كانت مجهودات الفرد للتقدم موجهة نحو بناء وتحديث اليابان(*).

---

[12] هوايت، المرجع السابق، ص.40.

(*) توجد في التاريخ العربي والإسلامي وفي التاريخ الجزائري خصوصا، نماذج جمعت بين حسن تحصيل العلم والالتزام الاخلاقي، ولكن هذه النماذج التاريخية لم تبذل المجهودات الكافية خصوصا في وسائل الإعلام ومنها- خصوصا- الرسوم المتحركة، في سبيل الترويج لها وجعلها قدوة لاطفالنا، بل الملاحظ ان العكس هو الذي يحدث.

ولاحظت الباحثة هوايت ان المعلمة في مرحلة التعليم الابتدائي[**]، تخصص اليوم الاول للدخول المدرسي في الفصل لتعويد التلاميذ على الحياة في مجموعة، وعلى عادات وتقاليد هذه المدرسة، وعلى كيفية الوقوف والجلوس في الفصل، وكيفية التحدث إلى الآخرين، وكيفية إعداد الأدوات المدرسية وترتيبها(مكان القلم، مكان الكراس، مكان المسطرة،..الخ). ولا تعتبر هذه الأمور بالنسبة إلى المربي الياباني قليلة الجدوى، بل يعتبرها أساسية في تعويد الطفل على سلوكيات يتطلّبها وجوده في جماعة، في حجرة الدرس ويمارسها كطقوس، مما يعطيه الثقة بنفسه فيما يعمل ويجعل من الممكن التنبؤ بسلوكه[13].

2-ه- العمل المنهجي والتنظيم:

يحرص اليابانيون على وجود الترابط بين المعلومات، فإذا كان الطلبة في سنوات الدراسة الثانوية الأخيرة(الثانية)[14]، يحفظون كمّاً هائلا من المعلومات، إلا أنهم، من خلال استراتيجيات مقصودة، يتعلّمون كيفية تصنيف هذه المعلومات وتبويبها، الأمر الذي يسمح لهم بفهم العلاقات فيما بينها. فالمتعلم الياباني لا ينظر إلى هذه المعلومات على أنها شذرات متفرقة من المعرفة لا روابط بينها ولا فائدة تُرجى من ورائها. ولا يخفى على الباحث أن الحرص على وجود مثل هذه الروابط يعطي للمعلومات معان وفوائد كثيرة من النّاحيتين النظرية والعملية[15].

وهنا نلاحظ-كما يقول بن نبي- نموذجا متميزا للجمع بين الفكر المحافظ والعقل الصناعي، وهو تركيب موفّق كل التوفيق وتجربة كان لها نجاح مذهل، إذ "حين قادها(أي التجربة اليابانية) العقل المنهجي، وحين قادها منطق التأثير الفعّال، الذي لم يغب عن الميدان لحظة طوال العصر الميجي، انتهى بها الأمر إلى هدفها المنشود"[16].

(**) اصدرت وزارة التربية اليابانية، التي انشئت سنة 1871، قرارا يقضي بجعل التعليم الابتدائي إجباريا كما وضعت برامج للتكوين العالي مستلهمة من المقررات الاوربية، وترجمت الكتب من مختلف اللغات، وكان مما ترجم كتب جول فيرن.

[13] نفسه، ص. 199-200

[14] المرحلة الثانوية الاولى هي الطور الاساسي الثالث عندنا(الباحث)

[15] هوايت، المرجع السابق، ص.82

[16] بن نبي، فكرة الإفريقية الاسيوية، ص.88

ولاحظت الباحثة الامريكية هوايت ان الام اليابانية تعلم طفلها منـــذ طفولتـــه المبكرة ان يطوي الورقة بمنتهى الدقة وأن يقصّها كما طُلب منه، بمنتهى الدقة، متبعـــاً في ذلك الخط المرسوم. كما تعلّمه أن يضع حذاءه بطريقة معيّنة وفي المكان المحدّد بالضـبط. والطفل يشعر بالرّضى والسرور عند إتمام خطوة في العمـــل بنجـــاح ومهـــارة. ويـــتعلم الأطفال أن التكرار في عمل ما يعلمهم دائما التمييز بين الاختلافات الدقيقة في خطـــوات العمل عند التكرار، وهذه المهارات الاجتماعية والســـيكولوجية تكـــون قـــد ســـاعدت اليابانيين على تطوير وتحسين التكنولوجيا التي تنتجها دول أخرى، وذلك باستغلال عنصر الدّقة في الملاحظة لدى الإنسان الياباني[17].

2-و- الحرية:

إنّ ما يهم المعلم الياباني ليس قمع التلاميذ والســـلطة القهريـــة ولكـــن إبـــراز القدرات لدى التلاميذ. فمع الحيوية الدافقة داخل حجرة الدراسة قد يكون الجوّ صـــاخباً وفي الحجرة معلم أمام اثنين وأربعين(42) تلميذا في المتوسط، وما يهـــم المعلـــم هـــو أن يستغرق التلاميذ في عملهم لا أن يسود الصمت والنظام والهدوء، الأمـــر الـــذي قـــد لا يعجب بعض الزائرين والمدرّسين من مجتمعات غير يابانية[18].

3. الجـــدور الاجتماعيـــة

لا يحاول المواطن الياباني أن يكون مختلفاً عن غيره وعن السّياق الاجتماعي و إلا انتقل إلى هامش المجتمع[19]. وهنا نلاحظ غياب النزعة الفردية وبروز الروح الجماعية الـــتي تتجلى في المظاهر التالية:

3-1- احترام الاخر:

يتعلم الأطفال في السّنوات الاولى من المدرسة كيف يســـتمعون إلى الاخـــرين ويتفهّمون اراءهم، ويعترفون بصراحة إذا ما أخطأوا، مبينين مواطن الخطأ، كما يتعلمـــون

---

[17] هوايت، المرجع السابق، ص. 174

[18] نفسه، ص. 122

[19] نفسه، ص. 36

كيفية التعامل دون انانية. اما في السنوات المتوسطة فيتدربون على حياة التواضع والاعتدال في وسطية، أما في السنوات الابتدائية الأخيرة فلا بدّ أن يكون التفكير لديهم سابقاً على الكلام وعلى العمل. وبهذا فالعلاقات الإنسانية تحتلّ مكانة مرموقة في اليابان فمن خلال شعور الفرد أنه محبوب وأن هناك من يحرص عليه ويعتني به ويتحمّله أحياناً تتولد لديه الثقة والعزيمة للكفاح وبذل الجهد والتغلب على نقاط ضعفه وعلى ما يواجهه من عقبات لكي ينجح ويتفوق، وهذا هو نبع الدّافعية القوية عند اليابانيين[20].

3-ب- علاقة الكبار بالصغار:

لا يشعر الكبار بالخوف عندما يجدون الصغار يكبرون ويحتلون أماكن الصدارة بل على العكس. فبمرور السنوات تزداد مكانة الكبير تبعاً لعدد وإنجازات من أنشأهم وربّاهم، إذ أنه مع التقدم في السّن "يطوّق أعناق الصغار الإحساس بالجميل"[21]. كما لا تتطلع الامّ اليابانية إلى الالتحاق بعمل خارج البيت إلا بعد أن يلتحق أبنها بالمدرسة حيث يبقى طوال اليوم. ذلك أن قيمة الفرد في اليابان تتوقف على درجة التزامه نحو نشاط بعينه بل وبدرجة انغماسه في العلاقات الإنسانية التي تعطي معنى لهذا النشاط ومن هنا فإنه يصعب على الأم التي تعمل خارج المنزل أن تعطي أيا من العملين حقة مائة بالمائة.

3-ج- علاقة المعلم بالمتعلم:

إن بعض القيم والتقاليد الماضية في المجتمع الياباني ما زالت راسخة فيقوم المعلم بزيارة تلاميذه في بيوتهم مرة في السنة على الأقل وهذا كجزء من اعتقاد تربوي راسخ بان المدرس يفهم تلميذه بشكل أفضل إذا عرف أسرته وحياته العائلية كما أن التلاميذ يزورون معلميهم في بيوتهم خاصة في المناسبات مثل أعياد رأس السنة. وتمتد هذه العلاقة بين المعلم وطلبته إلى الجامعة خارج حدود قاعة المحاضرات وكثيرون يصطحبون طلابهم في إقامة قصيرة في الريف أو على الشواطئ خلال الإجازات[22].

---

[20] نفسه، ص.40.

[21] نفسه، ن-ص

[22] نفسه، ص.153.

3-د- مسؤولية المجتمع:

تتوزع المسؤولية نحو التنشئة الاجتماعية في اليابان بصورة متوازنة بين الاسرة والمدرسة ومكان العمل. فمثلاً لو ضبط طالب في المدرسة الثانوية يقود سيارة دون رخصة السياقة فهنا يسأل رجال الشرطة كلاً من المدرّسين وناظر المدرسة وأولياء الأمور والطالب نفسه عن هذه المخالفة. ويتضح هذا الشعور بالمسؤولية أيضا في مسؤولية الآباء والأمهات في متابعة أبنائهم في عمل الواجبات المدرسية اليومية. وفي استفتاء أخير أجري في اليابان اتضح أن الأمهات يتحمّلن أكثر من المدرسين مسؤولية التقدم المدرسي لأبنائهن[23]. وهذا بخلاف المدارس الأمريكية التي هي مسؤولة ومحاسبة أمام القضاء. أما في اليابان فهناك مبدأ المشاركة في المسؤولية، فإذا وقع حادث لتلميذ في محطة القطار خلال رحلة مدرسية فإن الاعتذارات والتأسفات تنتظر من كل شخص له نصيب من المسؤولية في هذا الحادث: التلميذ، ناظر المدرسة، الوليّ، مسؤول المحطة، ولا تنتهي التبعات الاجتماعية عند هذا الحدّ إذ يظهر الشعور بما يسمى مايواكوكاكيتا *Meiwakukaketa* أي الشعور بالتسبب في إزعاج الغير[24].

وهناك جانب اخر من المسؤولية، إذ إن المسؤولين عن التعليم الثانوي والجامعي يتحملون عبء توظيف الخريجين بل أكثر من ذلك؛ فعندما يتخرج شاب أو شابة و يوظف في مصنع أو شركة يساعده رؤساؤه في البحث عن شـريك الحياة أي الزوج ويتحملون بعض نفقات الحفل. كما تساعد المدرسة خريجيها على الاندماج والتكيف في المرحلة التالية من حياتهم ويعود تحمل هذه المسؤولية الجماعية إلى التقاليد اليابانية المتوارثة عبر الأجيال[25].

ويحملنا هذا الاقتسام الاجتماعي للمسؤولية إلى التفكير في حال النخبة الجزائرية التي –نتيجة لمسارها التاريخي- كانت محرومة من الاستفادة من الثقافة المحلية للمجتمع وصارت بذلك عاجزة عن الفعل الاجتماعي، ودفعت بنفسها إلى الهامش وصارت معزولة تماماً كما اختارت مصالحها الخاصة بدل التفكير في مصير المجتمع الذي تنتمي إليه[26]. خصوصـا وأن

---

[23] نفسه، ص.131.

[24] نفسه، ص ص.132-134

[25] نفسه ص. 131

[26] EL Kenz(Ali), Au fil de la crise, ENAL, Algérie , p.33

معظم بنى المجتمع الجزائري ثم تحطيمها بفعل توغل الراسمالية الاستعمارية في الجزائر منذ سنة 1830 وإلى يومنا هذا[27].

3-ها- قيم المجتمع في الدرس:

توجد الدروس الاجتماعية لدى الطفل الياباني في كل الانشطة المدرسية. وهي محملة ومشبعة بالقيم الاجتماعية وليس فقط المواد العلمية الأكاديمية. فمنذ دخول الطفل المدرسة صباحاً وإلى أن يغادرها بعد الظهر يتعرض لمواقف تعد من باب الخبرة الاجتماعية ومثال ذلك التدريبات على الإجراءات الوقائية التي تتبع عند حدوث الزلزال. فعند سماع صوت مسجل للزلزال يهرع التلاميذ إلى ملابسهم المبطنة التي أعدها الأمهات وفق مقاييس المدرسة، ويحتمي كل طفل تحت طاولته ثم يطلق صفارات الأمان ويتجمع الأطفال في فناء المدرسة حيث يأتي الآباء والأمهات ليأخذوا أولادهم وهنا يخرج المتعلمون بدرس اجتماعي مهم جدا: أرض اليابان معرضة للمخاطر ، لذلك فتعاون الجميع مسألة حياة أو موت. ويُعطى المدرّس الياباني حرية محدودة في تغيير المقرر الدراسي ولكنه يقوم بمبادرات شخصية في توجيه المقررات بعقلية متفتحة ويحاول أن يقدم المادة العلمية في صورة مبتكرة ويعمل على الربط بين الدرس وبين الحياة اليومية بما يتماشى مع المفاهيم الاجتماعية السائدة ويجعل للتعلم معنى ويتعد به عن التجريد[28].

4. توجهات وملامح الإصلاح التربوي في اليابان

اولا: التوجهات

عرفت اليابان اتجاهات في إصلاح منظومتها التربوية والتعليمية: الاتجاه المحافظ الذي يحنّ إلى الماضي ويريد الهروب من الواقع الذي يعيشه أطفالهم بسبب التغيرات الثقافية وخصوصاً ما يسمى "جحيم الامتحانات" وما يعقبه من عمليات الانتحار لدى الشباب. ويشير الغربيون على الظواهر الجديدة لدى الشباب الياباني المتخرج من المدارس وخصوصا

[27] انظر بهذا الصدد: عمري(الطاهر)، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، رسالة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة نوقشت بتاريخ: 1999/12/4

[28] هوايت، المرجع السابق، ص.215.

ما تشير إليه اجهزة الإعلام من مظاهر العنف في البيت والمدرسة وعن العصابات المنظمة وسباقات الدراجات النارية العنيفة وحفلات الرقص الصاخبة وموسيقى الـرَوك الصاخبة بعد ظهر الأحد في شوارع طوكيو، كل هذا نتيجة المنافسة على النجاح في الامتحانات للالتحاق بدراسة أعلى. وما يتبع ذلك من ضغوط نفسية على الشباب. وكان شعار الاتجاه المحافظ: " اتركوا الأطفال للطبيعة ولا تحجروا على طموحاتهم"[29].

وهذا الاتجاه يشبه إلى حد ما اقتراح الروائي الروسي تولستوي[*] بعد زيارته لألمانيا وفرنسا وإيطاليا وبروكسل ولندن وبعد دراسته للطرق البيداغوجية بهذه الدول ورأى انها قائمة على القهر وعلى الضغوطات النفسية ولذلك اقترح نظاماً تربوياً شعاره "مساواة حرية وتوافق مع الطبيعة"[30].

وفي سياق هذا الاتجاه الاول نادت مجموعات لها وزنها في نقابات المعلمين بتغييرات أساسية في النظام التعليمي الياباني منها: تخفيف القلق الناجم عن نظام الامتحانات وتحسين ظروف التدريس وأحوال المعلمين وخفض عدد التلاميذ في الفصل الواحد لمزيد العناية بالتلاميذ وإعطاء مرونة أكثر في تدريس المقررات لحرية التصرف لدى الأستاذ لأجل مراعاة فروق التلاميذ من حيث البيئة والمحيط الاجتماعي وكذا إشكالية العنف في المدارس اليابانية[31].

اما الاتجاه الثاني فتبناه الإصلاحيون الذين عايشوا تلك الايام السابقة ولهم ذكرياتهم -أيضا- ولكنهم يرون أن التربية اليابانية كانت في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية تمر بظروف خاصة وملابسات واقعية، ولكن الظروف الآن أي بعد الحرب تغيرت مما يتطلب تغيرات لا جدال فيها. فقد تأثرت التربية قبل الحرب العالمية الثانية بأفكار جون جاك روسو عن العودة إلى الطبيعة وكذا بقايا أفكار جون ديوي في أوائل عشرينيات القرن

---

[29] هوايت، المرجع السابق، ص. 292

[*] Tolstoï, Léon(1828-1910), écrivain russe, auteur de la Guerre et la Paix et d'Anna Karénine.
Encyclopédie Microsoft® Encarta® 2002. © 1993-2001 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

[30] Tolstoï Leon, Jeunesse suivie de souvenirs, Tr.Sylvie Luneau, Ed. Guallimard 1961, p.227

[31] هوايت، المرجع السابق، ص. 292

العشرين عندما كان تاثيره قويا في اليابان وشعار هذا الاتجاه: الحرية في المدارس. ولكن هذا الفريق الإصلاحي يحس بفقدان الركائز الخلفية والاجتماعية في المدارس اليوم[32].

ثانيا: الملامـ ـ ـح

✓ الوطنيـــــة والعصـــــــرنة:

كان على المسرح التربوي الياباني مزيج من آراء ألمانية وآراء امريكية تحث على التربية التقدمية وآراء عن النظام التربوي الفرنسي وآراء كونفوشيوسية عن التعليم وكان هذا المزيج عند التطبيق ياباني الروح وكان لدى هذا النظام إصرار على تخريج مواطن مثقف وعصري والذي هو دون شك ياباني. وبهذا يمكن أن تحقق أهداف الوحدة الثقافية وأيضا سرعة التطوير والتحديث[33].

إن تحديث اليابان وخلف نظام تربوي عصري متطور وإن كان يسعى إلى تحقيق اهداف عالمية مثل مواكبة التقدم الصناعي والإنتاجي وتكافؤ الفرص التعليمية إلا أنه قد تم في إطار مختلف عن الغرب الأوربي. ذلك أن التعبئة التربوية وتعميم التعليم تمت في إطار من العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية المتعارف عليها في اليابان والمرتبطة بالتعليم منذ مئات من السنين[34].

لقد احتاجت اليابان إلى يد عاملة مدربة من اجل التصنيع وقد راى اليابانيون من ثمة ضرورة بناء نظام تربوي قوي للوصول إلى تطوير النظامين الاقتصادي والاجتماعي[35].

ويعقد بن نبي مقارنة بين اليابان والعالم الإسلامي في مجال الصناعات فيرى أنه بينما كان البعث الميجي في اليابان يوجهها نحو الصناعات ظل بعث النهضة الإسلامية دهراً طويلا حبيساً في مجال آخر تحولت فيه الميول الطبيعية لدى إنسان ما بعد الموحدين وهو إنسان لا

---

[32] نفسه، ص.292.

[33] نفسه، ص ص.108-109

[34] نفسه، ص. 99

[35] نفسه، ص ص. 107-108

يكترث بالفاعلية إذ لم يكن الحوار قائما حول الحقائق العلمية وإنما حول البراهين الكلامية وكل ذلك أضر بتقدم العالم الإسلامي حسب بن نبي[36].

✓ التمسك بالقيم:

يرى الإصلاحيون في اليابان ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية في المدارس اليابانية وذلك نابع – كما تقول هوايت- من الثقة التي أحرزها اليابان منذ تقـدمها الاقتصادي الهائل في الستينيات ومما تعرضت له أيضا من معاناة في التنافس خلال الحرب التجارية وبقلة مواردها التي أظهرها الصدمة البترولية التي تعرضت لها أوائل السبعينيات بعد حرب أكتوبر سنة 1973[37].

ويصف مالك بن نبي دور هذه الازمات في التوجه الاخلاقي لليابان إذ يرى ان اليابان دخلت التاريخ الحديث منذ الإنذار الذي وجهه لها الكومودور بيري فقد كان نموذج العمل في مجموعات متجانسة متوافقة مهما حتى يمكن لليابان أن تلحق بركب الدول المتقدمة. ولكن من الآن فالمكانة القيادية العالمية في اليابان في عالم تعتمد فيه الدول على بعضها تحتم وجود أفراد متميزين قادرين على العمل في مجموعات ليست بالضرورة متجانسة وتضم جنسيات مختلفة[38].

---

[36] بن نبي(مالك)، وجهـة العالم الإسلامـي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط.5، دار الفكر بيروت 1986، ص.58.

[37] هوايت، نفسه، ص.285.

[38] نفسه، ص. 285

خاتمـة ونتائـج

إن التربية اليابانية، كعملية اجتماعية-ثقافية، استمدت قوها مـن فعاليـة القـيم واستمدت ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعي للأفراد، باعتبارهم حملة ثقافة المجتمـع. لهذا يجب النظر للثقافة بكل وسائطها على أنها الإطار المرجعي للتخطيط التربوي، والوعـاء الذي تستمد منه عملية التنشئة الاجتماعية أهداف مشـ ـروع المجتمـع[39].

إننا لا ندعو إلى أخذ النظام التربوي الياباني وزرعه الجزائر، في تربة مختلفـة، لان هذا العمل سوف يكون محدود الجدوى والفعالية، وقد أثبتت التجارب السابقة في الميـدان التربوي بالجزائر هذه النتيجة. ولكننا نرى ضرورة بعث القيم التربوية الجزائرية التي كانـت موجودة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قراءة كل التجارب العالمية في مجـال إصـلاح المنظومة التربوية قراءة نقدية بالتركيز على عنصر التقدم العلمي والتكنولوجي. كما نـرى ضرورة إعطاء الأولوية- في مجال دراسة المتغيرات الثقافية والإصلاح التربوي- للكفـاءات العلمية والتربوية التي تتوفر عليها المدارس العليا للأساتذة، وهي موجودة بـالجزائر لـدعم القيم الاجتماعية والمهارات التربوية والتكوين العلمي الأكاديمي.

- -

المراجع:

1- الأحمد(عبد الرحمان) واخر، التعليم في اليابان: تطوره التاريخي ونظامه الحالي دار العلم الكويت 1983

2- بن نبي(مالك)، فكرة الإفريقية الاسيوية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت1992

3- بن نبي(مالك)، وجهـة العالم الإسلامـي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط.5 دار الفكر بيروت 1986

4- خروف(محمد)، " قيم في العملية التربوية"، مجلة العلـوم الإنسـانية، جامعـة منتوري قسنطينة

[39] خروف(محمد)، "فعالية القيم في العملية التربوية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، عـدد: 10، 1998، ص.156.

5- هوايت(ميري)، التربية والحدَي: التجربة اليابانية، ترجمة: سعيد مرسي واخـــر عالم الكتب، مصر1991
6- النجيحي(محمد لبيب)، الاسس الاجتماعية للتربية، الطبعة السابعة، دار العلـــم الكويت1977
7- عمري(الطاهر)، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، رسالة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة نوقشت بتاريخ: 4/12/1999
8- EL Kenz(Ali), Au fil de la crise, ENAL, Algérie
9- Encyclopédie Microsoft® Encarta® 2002. © 1993-2001 Microsoft Corporation.
10- Tolstoï Leon, Jeunesse suivie de souvenirs, Tr.Sylvie Luneau, Ed. Guallimard 1961